الفصل السادس عشر

إنتفاضة الأقصى
وتداعياتها داخل المجتمعات العربية
والمجتمع الإسرائيلي

الفصل السادس عشر

إنتفاضة الأقصى
وتداعياتها داخل المجتمعات العربية
والمجتمع الإسرائيلى

إنطلقت إنتفاضة الأقصى- فى أثناء كتابة هذا الفصل- منذ أكثر من ثمانية أشهر، وكما سبق أن ذكر إنطلقت هذه الإنتفاضة المباركة فى يوم جمعه بعد أن دخل إرئيل شارون مع بضع آلاف من الجند بأحذيتهم وأسلحتهم إلى باحة المسجد الأقصى المبارك، وبذلك أشعل هذا السفاح الوغد فتيل هذه الإنتفاضة المباركة التى إشتعلت بعنف لم يكن الصهاينة يتوقعونه، فزلزلت الكيان الصهيونى زلزلة عظيمة، وهزت نظام حكم السفاح باراك وكشفت خداعه وزيفه، وفى البداية راهن هذا السفاح على كبح جماح هذه الإنتفاضة، وإستخدم فى ذلك كل ما أوتى جيشه من أسلحة أمريكية متطورة، فقصف المدن والقرى بالدبابات والصواريخ والطائرات والبوارج، وإتبع سياسة إغتيال الزعماء الفلسطينيين ورؤوس المقاومة الفلسطينية، ثم لجأ إلى سلاح الإغلاق والتجويع وتدمير البنية التحتية للمدن والقرى الفلسطينية، وأطلق جموع المستوطنين كالوحوش الجائعة تقتل الأهالى وتجرف مزارع الزيتون وتعتدى على الممتلكات والعقارات الفلسطينية، ولكن ذلك كله لم يفت فى عضد الثورة الفلسطينية واستمرت جذوتها مشتعلة بعنف وقوة، رغم التفاوت العظيم فى القوى بين المعتدى والمعتدى عليه ورغم تأييد أمريكا للمعتدى ووقوف الإتحاد الأوروبى موقفا مائعا وكأنه يؤيد العدوان، وازدادت عربدة الإسرائيليين جيشا ومستعمرين والشعب الفلسطينى يقاوم ببسالة ويتحمل كل صنوف العسف والعذاب بكل شجاعة لا تلين له قناة، إنها إما حياة أو موت وليس بينهما حل آخر.

ولما فشل باراك فى كبت الإنتفاضة، ترك الحكم لسفاح آخر هو أشد السفاحين الإسرائيليين ضراوة ووحشية فى تاريخ إسرائيل، ألا وهو السفاح شارون الذى تلطخت يده

بدماء الفلسطينيين والعرب حتى قبل أن تقوم دولة إسرائيل، فهو صاحب مذابح دير ياسين وقبية الشهيرتان، و مخطط مذبحة صبرا وشاتيلا، وصاحب الملف الأسود فى قتله لمئات من الأسرى المصريين بعد حربى ١٩٦٧، ١٩٧٣، وأعطى الشعب الإسرائيلى أصواته بما يشبه الإجماع أملا فى أن يستخدم كل ما أدنى من وحشية فى قمع الإنتفاضة، وتعهد الرجل أن يتم هذه المهمة القذرة فى خلال مائة يوم، وصعد من استخدام القوة الغاشمة من جيش ومستوطنين، ومن إغتيالات لرموز المقاومة وتجويع الشعب الفلسطينى وتقطيع الأوصال بين المدن والقرى الفلسطينية، ومنع مرور الأغذية والأدوية والوقود إليه، ثم لجأ إلى عمل الغارات الوحشية على مراكز الأمن الفلسطينية وشن الهجمات الصاروخية على مقار الإدارة الفلسطينية، ومضت المائة يوم الموعودة، ومائة أخرى غيرها دون أن تنطفأ جذوة الإنتفاضة أو يفى بوعده فى توفير الأمن للشعب الإسرائيلى الذى وضعه فى منصبه لتنفيذ هذه المهمة، وأخيرا وجد حلفاءه الأمريكيين ورجال الادارة الأمريكية أنه فى ورطة، فحاولوا إنقاذه وإخماد جذوة الإنتفاضة بالحيلة، فأرسلوا إلى فلسطين لجنة جورج ميتشل لتقصى الحقائق، ثم أصدرت هذه اللجنة بيانا فيه شروط التهدئة ليلتزم بها الفلسطينيون ولا يعيرها شارون إلتفاتا، ثم أرسلوا بعد ذلك رئيس المخابرات الأمريكية لنفس السبب، ولكن هذه الحيل لم تنطل على الشعب الفلسطينى وهو ماض فى جهاده حتى حين كتابة هذه الأسطر.

والعجيب فى الأمر تخاذل معظم الدول العربية عن مساعدة إخوانهم الفلسطينيين اللهم إلا بالخطب العنترية والحماس الحار، رغم إجتماع مجلس الجامعة العربية مرتين إحداهما على مستوى القمة، ولذلك نجد أن لدول الإتحاد الأوروبى عذرها فى تذرعها بالصمت حيال ما يجرى من وحشية للشعب الفلسطينى على أرضه، ولا يرتفع صوت من هنا أو هناك يستنكر الأهوال التى يوقعها سفاحوا إسرائيل بشعب فلسطين، اللهم إلا أصوات خافتة تتردد على إستحياء بين الحين والآخر، أما مواثيق حقوق الإنسان العالمية، فيبدوا أنها لا تنطبق على هؤلاء المنكوبين لأنهم لا يستحقون الحماية ولا العطف اللذان يستحقهما بقر أوروبا الذى أثار ثائرة جمعيات الرفق بالحيوان والمحافظة على حقوقه فى كل مكان، فطالبوا بوقف إعدام البقر المصاب بالحمى القلاعية رأفة ورحمة بهذه الحيوانات المسكينة.

تداعيات الإنتفاضة في المجتمعات العربية:-

منذ اليوم الأول لقيام إنتفاضة الأقصى، تحركت الجماهير العربية فى كل بلد عربى تحركات تلقائية تطالب الحكومات بمساعدة الشعب الفلسطينى ضد العدوان، وتكونت لجان فى كل مكان لجمع المساعدات ودفعها إلى الفلسطينيين المحاصرين ولليتامى والأرامل والأسر التى فقدت عوائلها والعمال الذين فقدوا مصدر رزقهم، وللحق والحق يقال فإن وقفة جماهير الشعوب العربية كانت وقفة قوية أحرجت حكومات تلك الشعوب، وأشاعت الذعر فى نفوس رجال الأعمال الأمريكيين من إقدام الجماهير العربية على مقاطعة البضائع والمصالح الأمريكية، وحدث هذا بالفعل فى مصر والسعودية مما كان له أثره فى إفلاس عدد من الشركات الإنجليزية والأمريكية العاملة فى البلدين ورحيلها، وبات بعض الحكام الموالين للغرب فى حيرة من أمرهم، وحاولوا تأييد الشعب الفلسطينى بالخطب والأقوال الرنانة ولكن ذلك لم ينطل على أحد، وأعتقد أن المعونات التى تقدمها الشعوب العربية فى دول الخليج وبعض دول الشرق الأوسط الأخرى إلى الشعب الفلسطينى هى إحدى عوامل إستمرارية الإنتفاضة بهذه القوة والزخم حتى الآن، وكان للكتاب المصريين والعرب دور هام فى إجلاء الحقائق وكشف جرائم الصهاينة والتواطىء الأمريكى الأوروبى معهم، كما أثرت أحداث الإنتفاضة تأثيرا كبيرا على المجتمع الإسرائيلى الذى أعطى تأييده الكامل للسفاح شارون، ثم حدث تغيير ولو أنه بطىء فى أفكار الإسرائيليين بعد أن خاب أملهم فى الأمن الذى وعدهم به شارون، وظهر ذلك فى مقالات كتابهم فى الصحف الاسرائيلية، لذلك سوف نورد هنا بعضا مما نشر عن الإنتفاضة فى الصحف العربية والإسرائيلية.

أولا: ما نشر في الصحف العربية:-

منذ قيام الإنتفاضة، عجت الصحف العربية بمقالات كتبها كبار الكتاب والمحللين السياسيين فى العالم العربى، وقد عكست هذه الكتابات نبض جماهير الشارع العربى فى كل مكان يوم بيوم، وبينت مدى إجماع الشعوب العربية جميعا على دعم الإنتفاضة والوقوف إلى جانب المجاهدين الفلسطينيين وتوفير الماديات اللازمة لدوام إشتعال إنتفاضتهم حتى يتحقق لهم النصر بإذن الله، كما فضحت هذه الكتابات ألاعيب حكام إسرائيل على إختلاف

إتجاهاتهم الحزبية، وكيف أنهم يقفون الآن فى صف واحد خلف سفاحيهم من أمثال باراك وبيريز وشارون، لا فرق بين صقر وحمامة، كما بين الكتاب العرب فى كتاباتهم مدى الإنحياز الأمريكى وراء إسرائيل وتدعيمه لأساطين العدوان، كذلك مدى التخاذل العربى على المستوى الرسمى وعدم إرتفاع الحكام الى مستوى الأزمة التى تمر بها الأمة العربية، وأسباب الفرقة التى بثها الغرب بينهم وأدت الى تشرذمهم وإنفراط عقدهم وكيفية معالجة ما تمر به الأمة العربية من فرقة وشقاق، وفيما يلى نورد هنا بعض ما سطرته أقلام الكتاب العرب بهذا الخصوص، وكانت صحيفة الأهرام المصرية هى المرآة الكبرى التى عكست أفكار وآراء بعض كبار الكتاب العرب فى كل الأقطار العربية، لذلك إخترت من صفحات هذه الصحيفة الكبرى بعضا من أفضل ما كتب فيها فى مراحل مختلفة من مراحل الانتفاضة:-

١ - كتب السفير إبراهيم يسرى مقالا فى هذا الموضوع، حلل فيه ما يجرى من أحداث على الساحة العربية والفلسطينية تحليلا علميا وثيقا شاملا، جمله بنصوص من بنود القانون الدولى الذى تخصص هو فيه كمحام ومحكم دولى وبدأ ذلك بقوله:- تعدى الجنرال السفاح شارون كل الحدود، وانتهك كل المواثيق والقوانين الدولية، وتنكر لإلتزامات بلاده فى مدريد وأوسلو، وتجاهل بشكل سافر وقبيح آمال وآلام شعبنا العربى فى فلسطين، يشاركهم فيها أكثر من ٢٠٠ مليون عربى وأكثر من مليار مسلم. وآخر حماقاته هو ضرب محطات الرادار السورية فى البقاع اللبنانية وإعادة إحتلال بعض أراضى السلطة الفلسطينية فى غزة، موجها الى الدول العربية والإسلامية على وجه الخصوص أكبر قدر من التجاهل والاستهتار الذى قد يصل الى الإهانة وتعريضها للضغوط الداخلية الشديدة مما يفتح كل الإحتمالات لقيام حرب إقليمية فى المنطقة فى ظل تراخ أمريكى خطير وغير مبرر، وصمت أوروبى غير مفهوم.

وليس بعيدا عن أى تحليل سياسى متعمق ومحايد أن يتوصل بكل وضوح الى أن الجنرال شارون مرتكب المذابح الآدمية والوحشية بشهادة أجهزة الدولة العبرية نفسها، والذى ورط بلاده فى غزو لبنان وهى عملية خاسرة لإسرائيل بكل المقاييس.

إلا أن هذا الجنرال الدموى قد أوقع بلاده بالفعل فى مأزق خطير يفوق حماقه غزو لبنان ومذابح صبرا وشاتيلا بعد أن تسرب منه حلمه الساذج بأن يحقق الأمان للشعب اليهودى

باتباع كل ما تستطيعه الآلة الحربية الإسرائيلية من أساليب القمع والقتل والتشريد، وهدم المنازل والتجويع دون أدنى مراعاة لأبسط قواعد الحرب، أو إقرار لحقوق الإنسان وفقا لأحكام القانون الدولى الإنسانى، وهو أمر ثبت وتحقق فى لجنة حقوق الإنسان وغيرها من المنظمات العاملة فى هذا المجال، كما أن الفضائيات العربية والأجنبية تذيع كل تلك الأعمال الوحشية واللاأخلاقية كل يوم فى نشراتها المتتابعة.

ولقد وفر علينا شارون الكثير من الجهد والجدل الذى كان لابد من الخوض فيه لإقناع حسنى النية بحقيقة أهداف الدولة العبرية العنصرية التوسعية الإستقلالية عندما قاد تطورا مهما وجوهريا بالكشف عن عدم إعترافه بحقوق الفلسطينيين وعن إستهانته واستهزائه بالدول العربية بل والاسلامية والمجتمع الدولى بأسره عندما وجه لقمة عمان صفعة مهينة بتكثيف غاراته الإجرامية غداة إنتهاء القمة، على نهج صفعة وجهتها إدارة بوش باستخدام الفيتو لأول مرة من أربع سنوات وفى أثناء إنعقاد القمة لمنع الحماية الدولية للسكان المدنيين العزل.

وهكذا شن شارون بصمت من أمريكا وصمت دان من معظم الدول الأوروبية حربا حقيقية للإبادة، وبهذا هدم شارون كل المرجعيات المطروحة للقضية الفلسطينية إبتداء من القرار ١٨١ لتقسيم فلسطين والقرار ١٤١ بحق العودة، وقرارات مجلس الأمن حول عروبة القدس ومئات من قرارات الأمم المتحدة وغيرها من منظمات دولية وفروعها، مما إتفق المراقبون السياسيون فى الغرب وفى الدول العربية والإسلامية على السواء بأنه عودة بالقضية الى المربع الأول الذى بدأت به فى منتصف الأربعينيات.

ومن النتائج المهمة والخطيرة أن ذلك الوضع القانونى الجديد من شأنه أن يضع النظام العربى كله أمام مسئولياته الجسيمة وتتطلب منه بكل قوة أن يعيد النظر فى إدارة الصراع مع إسرائيل ومؤيديها، وأن يتدارس الحكام العرب كيفية التوصل إلى أساليب جديدة للتعامل مع الصراع مستفيدة من دروس خلفتها لنا سلسلة من التنازلات إستمرت بلا إنقطاع ما يزيد على نصف قرن من الزمان، وأول وأهم هذه الدروس ما دعونا إليه فى أعمال عديدة من حتمية تجديد أسلوب الدبلوماسية العربية فى إدارة الصراع العربى الإسرائيلى، وتطبيق كل قواعد

ومعايير العلاقات الدولية على هذا الصراع وعدم الإعتماد على أى عناصر غير مؤكدة أو غير فاعلة فى رسم السياسة العربية لمواجهة متطلبات هذا الصراع. وفى هذا الإتجاه يمكن تصور أن إستراتيجية إدارة الصراع على الجانب العربى فى المرحلة المقبلة ستأخذ المعطيات التالية محل إعتبارها:-

أولا وقبل كل شيء لابد أن تتجه كل الجهود لدعم الإنتفاضة وضمان إستمرارها والعدول عن الرغبة في إستعادة الوضع الذى كان قائما قبل ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠ لأن ذلك أصبح وهما غير قابل للتحقيق فى ظل سياسة شارون بل وسلفه باراك.

لا مجال بعد الآن للإحتفاظ بشعار خلا من مضمونه وهو شعار أن السلام هو الخيار الإستراتيجى للعرب، ولابد أن يتوقف العرب عن المناداه بسلام عادل وشامل أو بما شاع فى الأوساط السياسية العربية من إيجاد مفهوم وهمى يسمى الشرعية الدولية. فلا يوجد فى كل تاريخ العلاقات الدولية سلام يقوم على العدل بمعناه المجرد، لأنه ليس للعدل مفهوم محدد فى العلاقات الدولية التى تقوم على علاقات القوى، كما لا توجد سوابق لسلام شامل فى منطقة منعزلا عن العلاقات القائمة بين كل وحدة من وحدات النظام وبين القوى الفاعلة داخل وخارج النظام، ولم تنجح حتى الآن اى منظمة إقليمية أو عالمية مثل الأمم المتحدة فى فرض سلام شامل فى مجال إختصاصها.

– لابد أن الا تستبعد الدول العربية من حساباتها أنها قد تستدرج إلى حرب إقليمية عربية إسرائيلية حين يواجه شارون الفشل فى قمع الشعب الفلسطينى بحيث يكون قد مد نطاق العمليات العسكرية العدوانية على إحدى دول الطوق أو كلها ذريعة شارونية لتفجير الموقف وإيجاد واقع جديد بمنطق علّى وعلى أعدائى ويضع هذا الإحتمال مسئولية كبرى على النظام العربى كله حتى لا نواجه هزيمة أقسى من هزيمة ١٩٦٧.

– يجب أن تنتهى خديعة تقسيم الصراع العربى إلى مسارات والنظر إليه كصراع موحد بين الجانبين، فليس من الممكن ولا من المتصور أن يستمر بعض السياسيين فى دول عربية فى الإعتقاد بأنهم بعيدون عن الصراع جغرافيا أو سياسيا أو عسكريا بعد أن ثبت للجميع أن

المخطط الإسرائيلى الغربى يشمل إخضاع وإستغلال جميع أقطار العالم العربى سياسيا وإقتصاديا وعسكريا ويهدف الى النيل من وجودهم الحضارى وهدم مساجدهم وكنائسهم.

– لم يعد العرب يملكون رفاهية التغاضى عن سياسات بعض الدول التى تدعم العدوان الاسرائيلى وتشجع الدولة العبرية على نصب المذابح والمجازر لشعبنا العربى فى فلسطين أو التى تهاجم بطائراتها وآلاتها العسكرية دولا عربية دون أن تضع تلك السلوكيات فى الحسبان عند التعامل معها بحيث لا يوضع العرب بعد الآن فى موقف من يكافىء العدوان على العرب، ومن يدعمونه ماديا بالمال والسلاح أو حتى بالتصويت فى المحافل الدولية، ومن هنا لابد أن يتبلور فى إدارة الصراع مفهوم التعامل من منطق المصالح المتبادلة، بمعنى أنه لا يتصور بعد الآن أن تعقد صفقات عربية مع بعض تلك القوى المناهضة للحق العربى بمليارات الدولارات فى الوقت الذى توجه فيه تلك القوى مواردها ودعمها فى غير صالح العرب.

– ينبغى أن تشحذ كل الأنشطة الشعبية والأهلية إلى جانب الأنظمة العربية لتتحمل العبء الأكبر لدعم الإنتفاضة ماليا وبشريا، بالإضافة إلى تسطير رسالة جادة الى الدول الداعمة للعدوان على العرب أو الصامتة بالتآمر على الإنتهاكات التى تمارس ضد سيادة دولهم بأن مصالحهم مع العرب لابد أن توضع على المحك بحيث تتأثر سلبا وإيجابا بمدى تماشيها مع المصلحة العربية العليا. وقد شهدنا جميعا أن تقرير إدارة بوش قد توافق مع التحليلات الأمريكية السابقة من أن المصالح الأمريكية لن تعانى من أى تهديد نتيجة إنحياز أمريكا الكامل ضد إسرائيل

– إن الصمت المريب لبعض القوى الأوروبية ينبغى أن يترجم إلى مواقف واضحة مع الحق العربى أو ضده حتى وإن إقتصر على إصدار بيانات سياسية ومجرد عدم التصويت ضدنا فى المحافل الدولية.

– من المهم أن تضع الاستراتيجية العربية الجديدة فى إعتبارها الإستفادة بالتطورات التى تمر بها العلاقات بين القوى الكبرى مثل روسيا والصين والإتحاد الأوروبى واستعادة وتوثيق علاقاتها مع الدول العربية، وهو المنهج الذى تأخذ به دبلوماسية الرئيس مبارك،

الذى يواصل إتصالاته بعد حديث صريح مع الرئيس بوش فى واشنطن ولقاءات منتظمة مع شيراك فى فرنسا وزيارة المانيا وروسيا فضلا عن دورية الزيارات الرئاسية بين القاهرة وبكين.

– إنه مازال لدى العرب الكثير من أسباب القوة وعوامل الصمود ومنها غزارة مواردهم البشرية والديموجرافية ومصادر الثروة الطبيعية وحضارتهم الإنسانية، ومازالوا يمثلون القوة الباقية التى تؤكد وجودها فى المنطقة منذ فجر التاريخ حتى نهاية العالم، بينما مازالت إسرائيل كيانا غربيا يحاول تأكيد وجوده وعليه فلن يستعصى على العرب التغلب على أسباب الضعف والتشرذم وتجميع أسباب القوة لتوظيفها فى الصراع.

– البديل الوحيد أمام العرب فى المرحلة المقبلة هو أن يؤسسوا إستراتجيتهم لإدارة الصراع على التوصل لسلام متوازن يقوم على أرضية من توازن القوى العسكرية التقليدية وغير التقليدية على الأرض، ويوفر الردع المتبادل لدى طرفى النزاع دون الإعتماد على تدخل أى قوى أجنبية، بحيث لا تبقى لإسرائيل اليد الطولى بسبب تفوقها العسكرى الساحق على كل الدول العربية، وليس لدى العرب خيار سوى العمل على تعزيز قواهم العسكرية التقليدية وغير التقليدية، ليس بقصد إستخدامها، بل لتوفير الرادع القوى المقنع بأن المعتدى سيدفع الثمن وإرساء توازن القوى من شأنه أن يقود إلى علاقات سلمية فى المستقبل.

– يجب أن يتم ذلك كله تحت مفهوم قوى وعميق بأن العرب أصبحوا فى حاجة ماسة الى معركة تتعلق بوجودهم الى أن يرتقوا الى مستوى مسئوليتهم التاريخية وأن يتعاملوا مع المخاطر التى تواجههم بأسلوب علمى واع بعيدا عن الحزازات والأحقاد القديمة، وبعيدا عن الإنعزال القطرى الذى يعود بالوبال على كل العرب، ومن هذا فلا معنى ولا مبرر للسماح لأى نزاع أو خلاف عربى عربى. ويجب أن يسود الإقتناع بأن المرحلة القادمة يجب أن تكون مرحلة التضامن العربى، وإنه بدون تضامن وعمل عربى فاعل فإن وجود العرب كأمة وحضارة يتعرض لأخطار جسيمة ربما لم يسبق للأمة مواجهتها من قبل، وأن البديل لا يمكن قبوله ولا قبل لأحد بتحمل مسئوليته، وأن حساب الشعوب العربية عليه سيكون قاسيا وعسيرا.

٢ – وأخيرا ظهر فى صحيفة الأهرام بتاريخ ٢٠٠١/٦/٢٩ ثلاث مقالات قوية وصلت بتحليلاتها العلمية المدروسة إلى جذور مشكلة الصراع العربى الإسرائيلى ووصفت الحلول الناجحة لمواجهة المخططات الإسرائيلية والوصول بالإنتفاضة الفلسطينية الى مرحلة الإنتصار، وقد صدرت هذه المقالات الثلاث من كل من د. أحمد صوفى الدجانى «**الإنتفاضة وكيف فندت إدعاءات الإعلام الإسرائيلى**؟» ود. جمال على زهران «العنف والعنف المضاد.. توصيف ردىء»، ولواء على حفظى «**إستقراء ما يدور فى الفكر الإسرائيلى**».

وقام د. أحمد يوسف القرعى بتلخيص المقالات الثلاث فى مختصر وجيز واف جاء فيه ما يلى:- ثمة رسالة جديدة أفصحت عنها الإدارة الأمريكية إثر إيفاد كولن باول وزير الخارجية الأمريكية الى منطقة الشرق الأوسط إيذانا بانتقال الطرفين الفلسطينى والإسرائيلى لتنفيذ مقترحات لجنة ميتشل، وأكدت المواجهة التى إحتدمت بين الرئيس الأمريكى ورئيس وزراء إسرائيل بشأن المستعمرات ومفهوم الأمن المطلوب فى المنطقة حاليا مصداقية العزم على إستئناف الدور الأمريكى وهى المواجهة التى وصفتها الصحف الإسرائيلية بأنها ضربة علنية وموجعة من جانب بوش إلى شارون.

أيا كان الأمر فإن التحرك الأمريكى الجديد لم يأت من فراغ، وإنما جاء إثر مراجعة أمريكية، وفى هذا السياق يؤكد الدكتور/ أحمد صدقى الدجانى أن الإنتفاضة الفلسطينية إستطاعت أن تبدد المزاعم الإعلامية الإسرائيلية والأمريكية التى شنت هجوما على عرفات واتهمته بأنه يدفع بالأطفال لمهاجمة الإسرائيليين والعكس هو الصحيح، فقد هاجمت القوات الإسرائيلية الأطفال والنساء العزل الفلسطينيين، وهدمت بيوتهم.

ويشير الكاتب إلى أن هناك أصواتا معتدلة فى أمريكا وإسرائيل تعترف بالحق الفلسطينى وترفض المزاعم الأمريكية والإسرائيلية التى شاعت منذ كامب ديفيد بخصوص مسيرة التسوية.

وتفنيدا لمثل تلك المزاعم يرفض الدكتور جمال زهران مصطلح العنف والعنف المضاد، مؤكدا أن ما يحدث من جانب إسرائيل هو عنف مرفوض شرعا وقانونا، وأن ما يقوم به

الفلسطينيون مقاومة، هو ما يسمي بحرب التحرير أو الإستقلال من أجل الحرية والسلام، مؤكد أن هناك إصرارا فلسطينيا واضحا على إستمرار المقاومة من أجل الحصول على الحقوق الفلسطينية وأنه لا سلام فى ظل إستمرار الإحتلال الإسرائيلى للأراضى الفلسطينية. ويبرز اللواء على حفظى أهمية إدارة الصراع مع إسرائيل بعقلية إدارة الصراعات والأزمات وأن تكون برشادة ودقة محسوبة.

ما كتب عن الإنتفاضة في الصحف الإسرائيلية:

تتغير لهجة الكتاب الإسرائيليين الذين يكتبون عن الإنتفاضة والصراع الدائر الآن بين الإسرائيليين والفلسطينيين، ففى بدء الإنتفاضة كانت مقالات معظم هؤلاء تنمو باللائحة على عرفات وشعبه وتقف فى نفس الخندق الذى يقف فيه باراك وبيريز وشارون، ولكن لما طال أمد هذا الصراع دون أن تبدو فى الأفق أن الطرف الأضعف فى هذا النضال (من وجهة نظرهم) سوف يستسلم عما قريب، رغم ما إستخدمه الجيش والمستعمرون ضده من بطش وقوة وتعذيب، بل زادت مقاومته ضراوة وعنفا، وصمد فى وجه القوة صمودا مذهلا لا يعرف الإسرائيليون له كنها، بدأت لهجة الكتاب الإسرائيليين تتغير، وأطلوا ينظرون إلى ساحة النضال بنظرات جادة محللة للأحداث وما يجرى على الأرض، وخفت اللهجة العدائية ضد الفلسطينيين وأخذت تنمو نحو العقلانية.

ونوردها بعض ما كتبه هؤلاء الكتاب فى الصحف الإسرائيلية بعد مرور سبعة أشهر على هذه الإنتفاضة دون أن تنطفأ جذوتها- وفيما يلى نموذجين مما كتبوه بعد مرور بعض الوقت على بدء الإنتفاضة «٧ أشهر» ونموذجين آخرين لما كتب أخيرا عنها:-

أ - كتب الكاتب الإسرائيلى أورى أفنيرى مقالا فى جريدة معاريف الإسرائيلية فى يوم ٢٠٠١/٤/٢٠ بعنوان «لماذا فشلت اسرائيل فى قمع الإنتفاضة؟» جاء فيه ما يلى:-

الملاكمان داخل الحلبة- أحدهما بطل الوزن الثقيل وخصمه من لاعبى وزن الريشة، الجميع يترقب حسم الجولة الأولى فى بدايتها بالضربة القاضية، ولكن الجولة الأولى تنتهى دون أن تحسم بالضربة القاضية وكذلك الجولة الثانية أيضا، وحينما نجد أن ملاكم وزن

الريشة يقف على قدميه فى الجولتين الثالثة والرابعة يتبين لنا أنه هو المنتصر، وهذا ينطبق على الوضع الحالى فى المواجهة بين الجيش الإسرائيلى القوى وصاحب القدرات غير المحدودة، والطرف الفلسطينى الذى لا يملك من السلاح إلا النذر اليسير، ومع هنا فشل الجيش الإسرائيلى فى قمع الإنتفاضة بعد أن أستخدم كل الوسائل من طائرات هليوكوبتر ودبابات ومدافع- وتصفية جسدية وهدم المنازل والأحياء السكنية وتجريف الأرضى الزراعية، كل هذا لم يجد شيئا، فالفلسطينيون مازالوا يقفون على أقدامهم يقاومون للشهر السابع على التوالى حكومة شارون بيريز التى تحظى فى هذا الصراع بتأييد ومساندة أمريكية غير محدودة، فالولايات المتحدة تمدها بالأسلحة والأموال، ومن أجل إسرائيل إستخدمت حق الفيتو فى مجلس الأمن، أحد المسئولين الأوروبين أعرب عن دهشته البالغة قائلا ،إن إسرائيل هى فى الواقع العضو الدائم والخامس فى مجلس الأمن، ، أوروبا تكتفى بالإعراب عن أسفها أما الدول العربية فتتحمس وتشجب وتستنكر فقط. الفلسطينيون من جانبهم يعلقون آمالهم على ثلاثة عناصر:- العنصر الأول هو الإنتفاضة التى أذهلت القادة والمعلقين، فبرغم الإقتصاد المنهار والحياة التى تحولت إلى جحيم، إلا أن المواطنين الفلسطينيين مستمرون فى نضالهم، فالإنتفاضة تحولت إلى حرب إستنزاف، وفى هذه الحالة معنويات من أحتلت أرضه أقوى لأنه يحارب من أجل وجوده وكيانه.

من الأقوال المأثورة عن نابليون عن الحرب يقول العنصر المعنوى يشكل ثلاثة أرباع أما ميزان القوى فيشكل الربع الباقى.

أيضا إسرائيل تدفع ثمنا باهظا من جراء هذه الإنتفاضة التى سببت خسائر كبيرة للإقتصاد الإسرائيلى وأنهكت جيش الدفاع الإسرائيلى.

العنصر الثانى:- الجماهير العربية إضافة إلى المثقفين العرب الذين يتعاطفون مع الفلسطينيين، فالموقف سوف يتغير تماما إذا ما حدث ما يثير تلك الجماهير فى كل الدول العربية.

هناك معارضة وطنية وإسلامية تنتظر أن ترتكب إسرائيل ولو على سبيل الخطأ أى حماقة مثل مذبحة قانا أو تعمد إلى الإضرار بالمسجد الأقصى، حيث يكون الإنفجار.

عندما إلتقيت منذ عدة أيام مع ياسر عرفات فى رام الله، ترك لدى إنطباعا كبيرا بأنه يعلق آمالا كبيرة على مساندة الشعوب العربية، فقد أشار إلى أن المغرب شهدت مظاهرة كبيرة سار فيها مليون مواطن، وفى السعودية حتى عمان البعيدة، نظمت مظاهرات غاضبة ويبدو أن الجميع فى إنتظار أن يقدم شارون على عمل طائش لينفجر الموقف.

العنصر الثالث أن هناك حدودا للتأييد الأمريكى المطلق لشارون وبيريز، ومن وجهة نظر الفلسطينيين فإن إدارة الرئيس بوش هى أسوأ الإدارات الأمريكية على الإطلاق.

وهناك خط أحمر واضح هو النفط، فإذا حدث الإنفجار للموقف فى العالم العربى وأصبح الأمر جد خطير، فسوف تهوى القبضة الحديدية الأمريكية على رأس شارون، وها هو الأسبوع التاسع والعشرون للمباراة ينتهى دون ضربة قاضية.

ب – لا حل إلا مقترحات كلينتون، كان هذا هو عنوان مقال كتبه الكاتب الإسرائيلى دافيد كمحى فى صحيفة جيروزاليم بوست يوم ٢٠٠١/٤/٢٠ حيث كتب يقول:– من أهم خصائص الإنتفاضة الثانية هى إنعدام الفهم التام والكامل فى طرفى الإنقسام فيما يتعلق بأهداف ومواقف الطرف الآخر. فالإسرائيليون بما فيهم معسكر السلام لا يفهمون لماذا رفض الفلسطينيون بهذه القوة اليد التى مدها إليهم رئيس الوزراء السابق إيهود باراك، وتتراوح التفسيرات بأن الوجه الحقيقى للفلسطينيين قد إنكشف، وبين أن الفلسطينيين لن يقبلوا أبدا وجود دولة يهودية فى فلسطين، إلا أن رئيس السلطة الفلسطينية عرفات غير قادر على صنع السلام.

وبالنسبة لمعظم الإسرائيليين فإن عرفات هو الشرير الذى رفض قبول أى حل وسط للسلام، وتختلف الآراء على نحو واسع بالنسبة لدور عرفات وبيانه، فهل خطط للإنتفاضة أم بدأت عفويا بالشكل نفسه الذى بدأت به الإنتفاضة الأولى؟.

هل هو قادر على السيطرة على العنف أم هل فقد السيطرة على الشارع الفلسطينى؟ ما هو هدفه النهائى؟ أهو تدويل الصراع؟ أم التواصل غير المحدود للصراع؟ فيما إذا كان مازال شريكا فى السلام؟

لا توجد أجوبة واضحة، وبحسب التقارير الصحفية ثمة تقديرات واسعة الإختلاف بين أجهزة الأمن والاستخبارات العسكرية حول كيفية إندلاع الإنتفاضة ونيات الفلسطينيين بشكل عام، وزراء كبار يعتبرون عرفات إرهابيا، لا نية له للتوصل الى إتفاقية سلام، ووزراء كبار آخرون يجادلون عرفات لا يزال شريكا فى السلام، ومعظم الإسرائيليين لا يملكون إلا معرفة ضحلة عما يريده الفلسطينيون، أو ما يعنيه كيانهم تحت الإحتلال.

غير ثمة نقصا فى الفهم مشابها فى الجانب الفلسطينى، فبالنسبة للكثيرين فإن تصورهم عن الإسرائيلى هو المستوطن المشاغب لأن هناك من الإستفزازات التى يشعلها المستوطنون أكثر مما تنبىء به وسائل الإعلام الإسرائيلية، وصورة الإسرائيليين المفعمة بالكراهية تجاه الفلسطينيين قد تعززت الآن أثر تصريح الحاخام عوفاديا يوسف الأخير الذى دعا فيه الرب أن يقطع دابر العرب.

أما الفلسطينيون فهم على قناعة بأن إسرائيل لا تريد السلام، وأنها تريد تخليد الإحتلال، وهم يشيرون إلى فشل إسرائيل فى تطبيق العناصر الأساسية فى إتفاق أوسلو كدليل على عدم إخلاصها فى السعى وراء السلام، وهم يزعمون أن إسرائيل لم تنفذ بنود الإنسحاب ولم تطلق سراح المسجونين ولم تلتزم بالجدول الزمنى للتوصل إلى سلام دائم، فواصلت توسيع المستوطنات التى رغم أن أوسلو يحظرها، بقيت فى نظرها نقيضا لروح السعى نحو السلام وكدليل على أن إسرائيل لا تنوى التخلى عن الضفة الغربية بغية الوصول الى سلام دائم حقيقى، وفوق هذا فإن توقعهم أن يضع أوسلو حدا للإحتلال لم يتحقق، وبالفعل فأكثر من أى عامل آخر، فإن الإحباط الرهيب الذى بعثه الإحتلال المستمر قد أدى الى مظاهرات العنف وإستئناف الإنتفاضة، وعلى هذه الحجة قد يرد الإسرائيلى «كان يمكن للإحتلال أن ينتهى والعديد من المستوطنات أن تفكك لو أنكم وافقتم على عرض باراك لأكثر من ٩٠٪ من مساحة الضفة الغربية»، والفلسطينيون قد يردون «فى أوسلو وافقنا لأول مرة على حقكم فى ٧٨٪ من فلسطين فيما نكتفى نحن بما يتبقى من الـ ٢٢٪، هذا كان تنازلنا من أجل السلام، وكبادرة طيبة لكم فى كامب ديفيد، وافقنا أن تكون لكم جيوب من المستوطنين شريطة أن تعطونا كمية مكافئة من الأرض فى إسرائيل على سبيل المبادلة، ولكنكم لم توافقوا». إن الفلسطينيين مقتنعون بأنه كان يمكن التوصل إلى إتفاق ولا يزال هذا ممكنا أيضا وبخلاف

الإعتقاد السائد فى إسرائيل فإن الفلسطينيون يريدون السلام حقا الذى يستند مع ذلك الى الـ ٢٢ ٪ الذى يتضمن الأحياء العربية فى شرق القدس، وهم يقولون إنه تماما كما إستعاد السادات كل شبر من الأراضى المصرية ولم يكن مستعدا للمساومة حتى على طابا، والأردنيون حصلوا كذلك على كل الأراضى التى إحتلتها إسرائيل، هكذا يطالبون بمعاملة بالمثل، أما بالنسبة للمسائل المحيرة كحق العودة للاجئين الفلسطينيين والحرم القدسى فإن الرئيس الأمريكى السابق بل كلينتون والمفاوضين الإسرائيليين مقتنعون بأنه يمكن إيجاد حل لها شريطة أن تلتئم باقى أجزاء الرزمة.

أين سينتهى كل ذلك؟ الطرفان مقتنعان بأن كل الخطأ يقع فى الطرف الآخر ومع ذلك فإنهما يتفهمان عنصرين أساسيين فى النزاع، العنف لن يؤدى إلى نتائج للفلسطينيين وليس ثمة حلول عسكرية للإسرائيليين وتوجد مؤشرات من الآن على أن العنف قد يتضاءل وعندما تصمت نار المدافع فإنه سيتعين على الفلسطينيين والإسرائيليين العودة إلى طاولة المفاوضات وهناك سيكتشفون بأنه ليس هناك حلول قابلة للحياة إلا تلك التى إقترحها كلينتون.

أما البديل فسيكون إستئناف العنف وستستمر الدائرة المفرغة فى الواقع الى حين يوافق الطرفان على حتمية أن يعيش الشعبان جنبا الى جنب بسلام فى هذه القطعة الصغيرة من الأرض إسرائيل وفلسطين.

ونورد هنا أمثلة أخرى مما كتب عن الإنتفاضة الفلسطينية فى بعض الصحف الإسرائيلية فى الأيام الأخيرة لمعرفة مدى التطور الذى أحدثته الإنتفاضة فى الفكر الإسرائيلى بعد مرور هذه المدة الطويلة على إندلاعها:-

أ - كتب الكاتب الإسرائيلى نداف شرجاى مقالا فى ١٥ يونيه ٢٠٠١ فى صحيفة هارتس تحت عنوان «المستعمرون أصابتهم الأمراض النفسية ويرغبون فى الرحيل» جاء منه ما يلى:-

الأحداث العنيفة فى منطقة الخليل وكريات أربع دفعت وزارة الصحة الإسرائيلية الى تشكيل فرق من الأخصائيين النفسيين وأطباء الأمراض العقلية للعمل فى تلك المناطق فى الوقت الذى يؤكد فيه الأطباء النفسيون أصحاب العيادات فى تلك المناطق تزايد عدد

المترددين عليهم بشكل كبير خلال الفترة الأخيرة برغم انهم فى الواقع لا يعانون أمراضا عضوية بل من الضغوط والتوترات الناتجة عن الأحداث الدائرة هناك وقد نشرت الدكتورة نيتشا كاليش أخصائية الأمراض النفسية دراسة هى الأولى من نوعها فى مجلة عن شئون المجتمع تصدرها نقابة المعلمين الإسرائيليين حول الشباب الإسرائيلى جاء فيها أن عدم الإستقرار الذى يعيش فيه مستعمرو الضفة الغربية أصاب الشباب بحالة يطلق عليها المتخصصون «العجز المكتسب» ومن خلال هذا العجز يتكون لدى هؤلاء الشباب النظرة المتشائمة للمستقبل، وقد أجرت الدكتورة نيتشا دراساتها على ١٤٣ شابا تتراوح أعمارهم بين ١٤ و ١٨ سنة ينتمون الى ٦٦ مستعمرة فى مارس ٢٠٠١، وقد أعرب ٣١٪ ممن شملتهم الدراسة عن رغبتهم فى مغادرة المستعمرات بينما أعرب ٨٧٪ عن تأكدهم من قيام الدولة الفلسطينية فى نهاية المطاف، وأعرب ٩٤٪ عن ثقتهم فى أن أراضى الفلسطينيين سوف تعود إليهم، فى حين أكدوا أن مدينة القدس سوف تقسم بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى فى التسوية النهائية.

والدكتورة نيتسا التى شكلت خلال السنوات الثمانى الأخيرة فرقا من مساعديها فى ٧٠ مستعمرة بالضفة الغربية. لاحظت من خلال هذه الفرق حالة العجز فى أوساط شباب المستعمرين والذى تحول فى النهاية الى عجز مكتسب نشأ نتيجة تعرض الشباب لمرات عديدة إلى أوضاع خارجة عن إرادتهم، والحافز لديهم يتضاءل فى الوقت الذى يتحولون فيه إلى أشخاص متشائمين ويائسين لا يشعرون بالتقدير تجاه أنفسهم ويعتقدون أن الأمور لن تتغير.

وقد أجريت دراسة مماثلة فى مارس ١٩٩٩ عبر خلالها شباب المستعمرين عن التشاؤم فى دراسة مارس ٢٠٠١ بعد إندلاع إنتفاضة الأقصى بأربعة أشهر ونصف.

وفى كلتا الدراستين يتبين أن الشباب يعانون قلقا نتيجة للعجز المكتسب، وكان مستوى القلق أعلى نسبيا لدى من تتراوح أعمارهم بين ١٥ و ١٦ سنة، لكن تبين انه كلما إرتفعت السن إنخفض مستوى القلق، أما الفتيات فقد كان مستوى القلق لديهن أعلى من الشباب.

وفى هذه الدراسة أدلى عدد من الشباب والفتيات بشهاداتهم. فتاة عمرها ١٦ سنة ونصف تقول إن والدها بناء على طلب أمها يذهب لمقر عمله وهو يرتدى السترة الواقية والخوذة إلا أنه أخفى ذلك عن أخيها المجند حتى لا يشعره بالخجل.

فتاة أخرى عمرها ١٧ سنة تقيم بإحدى مستعمرات قطاع غزة إنها لم تر جدها وجدتها المقيمان فى منطقة رشيون لتيون منذ إندلاع أعمال الإنتفاضة أما الشباب الذى تحدثت معهم صحيفة هاآرتس منذ عدة أيام فقد أدلو بنفس الآراء السابقة، وأكد عدد من هؤلاء الشباب أنهم عثروا داخل فصولهم الدراسية على منشورات كتب فيها «الحرب بسببكم»، وفى نابلس هاجم بعض الشباب وسائل الإعلام واتهموها بتجاهلهم، وفى منطقة بنيامين، أعرب الكثير من الشباب والفتيات عن الغضب من التضييق عليهم فى تنقلاتهم وإمتناع المدرسين أحيانا عن الوصول الى بعض الأماكن التى توصف بأنها خطيرة، الأمر الذى أدى فى النهاية الى عزلة المستعمرات.

ب – وفى صحيفة يديعوت أحرونوت كتب الكاتب الإسرائيلى اليكس فيشمان بتاريخ ٢٠٠١/٦/١٥ مقالا بعنوان «الخلاف بين قادة الجيش والسياسيين دليل على حالة التخبط الإسرائيلية» جاء فيها ما يلى:–

قيادة الجيش الإسرائيلى تشعر بالإحباط والضيق نتيجة تجاهل القيادة السياسة لها، فالحصار الخافق المفروض على السلطة الفلسطينية بدأ يتلاشى بقرار من مجلس الوزراء دون إستطلاع رأى الجيش حتى من باب الإحترام، فبدءاً من مساء الثلاثاء الماضى بدأت التسهيلات فى صورة السماح بإدخال الوقود والغاز للسلطة والسماح بخروج بضائع فلسطينية.

فى عدة مكاتب بهيئة الأركان جلس الجنرالات غاضبون وبدأوا فى إجراء الإتصالات التلفونية مع مكتب رئيس الوزراء ومكتب وزير الخارجية ومكتب وزير الدفاع فى محاولة لمنع ما إعتبروه تداعى الجدار الصلب الذى بنى أمام عرفات للمرة الأولى منذ إنتفاضة الأقصى.

ومن وجهة نظر الجيش فإن العملية الإنتحارية فى تل أبيب شيدت لأول مرة سورا دوليا وضع عرفات فى الزاوية وطلب منه وقف إطلاق النار دون شروط مسبقة، فى يوم السبت بدأت تظهر النتائج على الأقل بتصريح علنى لم يستطع أحد إنتزاعه منه حتى ذلك الحين،

لقد وقف العالم- والأمريكيون والأوربيون- وحتى الروس فى النهاية الى جانبنا وتمكنا من وقف إطلاق النار، ولكننا وبأنفسنا عدنا للكلام بصوتين فوزير الدفاع من جهة يعلن أن عرفات لا يلتزم بالإتفاقيات وأنه أنهى بذلك دوره التاريخى، ومن جهة ثانية بضغط من وزارة الخارجية يرفعون الضغط عن السلطة.

هذه الأقوال بأصوات مختلفة تثير الجيش، فإن الجدل الخالد مثل «يسيطر على الأرض- لا يسيطر على الأرض- ينهار- لا ينهار» ليس فقط ليس له أهمية بل ألحق أضرارا إعلامية بنا فى العالم والآن يدعون فى الجيش أن العالم معنا ولكننا نضر أنفسنا بأيدينا.

ليس هذا قصورا فى الإتصال بين الجيش والقيادة السياسية، إنه مثال صارخ آخر على الطابع الهيستيرى والسطحى الذى تتخذ فيه القرارات الإسرائيلية حول الموضوع الفلسطينى ففى صباح يوم السبت بعد ساعات قليلة من عملية الدولفين تم طرح خطتين على القيادة السياسية للتصديق عليها: خطة تنفيذية للجيش وخطة خطوات إدارية إقتصادية أعدت كخطة إحتياطية فى مكتب منسق العمليات فى الضفة الغربية وأعدت للتنفيذ فى حالة وقوع عمليات إستراتيجية تستدعى الفصل الفورى بين الجانبين، والخطة تتضمن قائمة من ثلاثين خطوة درست كل منها من جميع جوانبها القانونية والدولية والإقتصادية وغير ذلك، وبعض هذه الخطوات مثل وقف دخول البريد تتعارض مع القوانين الدولية وقد ترتد الى نحر إسرائيل.

وقد تبنى مجلس الوزراء المصغر الخطة الإحتياطية بكل عناصرها بما فى ذلك البند الذى يقضى بإبقاء طائرات عرفات فى المطار دون حركة لمدة ٤٨ ساعة، والواقع أنهم لم يكن لديهم أى خطة أخرى يطرحونها للجمهور الذى طالب بالرد الفورى والخطة التنفيذية إستبعدت بعد إعلان عرفات وقف إطلاق النار، وكان رجال الجيش هم الذين أوصوا المجلس الوزارى المصغر بتأجيل الضربة العسكرية لأن مبادرة عرفات كانت هى الأولى من نوعها، ومن شأنها حشد الرأى العام الدولى ضده، لذا يجب عدم تفويت هذه الفرصة من أجل عملية عسكرية، لذلك بقيت الخطة الإقتصادية، لكن لما بقيت وحدها تحولت عمليا الى خطة عقاب. وجورج تينيت رئيس المخابرات الأمريكية وصل إلى المنطقة وبذل مساعيه من أجل إقامة إطار دائم يتابع التعاون من أجل إفساح المجال لخطوة سياسية تعقبه.

خاتمـــة

خاتمـــة

من يقرأ هذا الكتاب سوف يخرج فى النهاية بانطباع حقيقى عن مدى الخطر المحدق ببلادنا وبالبلاد العربية جميعا من جراء زرع هذا السرطان الإسرائيلى فى فلسطين قلب الأمة العربيـة والإسلاميـة، وقد تم التخطيط لزرع هذا السرطان الدخيل بواسطة الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا وشارك فى هذا التخطيط دول أخرى أو حثت عليه مثل فرنسا وروسيا وذلك قبل أن تظهر فكرة الوطن القومى عند اليهود بنحو نصف قرن من الزمان أو أكثر، والدافع للأوروبيين فى نشر فكرة وطن اليـهود القـومى فى فلسطين كـان يهـدف أولا إلى الإنتقام من العرب والمسلمين بسبب هزيمة دول الفرنجة الصليبية على يد السلطان صلاح الدين الأيوبى وخلفاؤه فى فلسطين فى العصور الوسطى وطردهم للصليبيين من فلسطين ولبنان، وكان على رأس ملوك أوروبا الصليبيين الذين تجرعوا مرارة الهزيمة ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وقتئذ، الذى طرده صلاح الدين من القدس فرحل عنه وعيناه تفيض بالدموع، وبعد ذلك بفترة من الزمن جاء الملك لويس التاسع ملك فرنسا على رأس آخر الحملات الصليبية لإحتلال مصر، ولكنه هزم فيها على يد الحكام المماليك هزيمة منكرة، وتم أسره وحبسه فى دار ابن لقمان فى المنصورة ومعه كبار قواده العسكريين والأمراء، ولم يفرج عنهم إلا بعد دفعهم لفدية كبيرة، واستمرت مرارة هذه الهزائم مترسبة فى الوجدان الأوروبى حتى جاءت فرصة الإنتقام باستيلاء الإنجليز على فلسطين سنة ١٩١٨ وتمكينهم لليهود من الهجرة إليها وبناء دولتهم على ترابها بعد تشريد أهلها والتنكيل بهم.

والسبب الثانى وراء تأييد أوروبا لقيام دولة يهودية فى فلسطين كان هو فصل الجزء الآسيوى من العالم العربى من الجزء الإفريقى منه لمنع إتحاد العرب فى دولة واحدة كبرى تهدد مصالحهم الإستعمارية فى المنطقة، وتفوت عليهم فرصة نهب الثروات الطبيعية الموجودة فى المنطقة من بترول وخلافه، كذلك خشيت إنجلترا من تأثر طرق مواصلاتها التى تمر عبر قناة السويس الى الهند عند قيام دولة عربية كبرى فى المنطقة، الخطر التى استشعرته حين احتلت جيوش محمد على والى مصر لبلاد الشام والجزيرة العربية وكان على

وشك بناء هذه الدولة العربية الكبرى لولا تدخل إنجلترا والدول الأوروبية وتحطيمها للأسطول المصرى واجبارها لمحمد على سحب قواته الى مصر.

أما الذين بثوا فكرة الوطن القومى لليهود مثل هرتزل مؤسس الصهيونية فقد إعتمدوا فى ترويجها بين اليهود على نصوص وردت فى العهد القديم من وضع حاخامات اليهود أثناء وجودهم فى السبى البابلى، وكلها تنضح بالعنصرية والكراهية لشعوب الأرض جميعا الذين أطلق عليهم الحاخامات لفظ «الأغيار»، أما هم فشعب الله المختار الذين خلق الكون كله من أجلهم وسخره لهم دون أبناء البشر جميعا، وأحل لهم سفك دماء الأغيار وسلب أموالهم وأراضيهم لأنهم لا وزن لهم عند الرب وتبعا لهذه الأفكار الدينية العنصرية الإستعلائية دخل اليهود فلسطين وأقاموا فيها دولتهم، وساعدتهم جميع دول أوروبا وأمريكا وسلحتهم بكافة أسلحة الفتك والدمار حتى النووية منها حتى يكونوا دائما متفوقين عسكريا على كافة شعوب المنطقة، ثم أمدوهم بالأموال الطائلة التى مكنتهم من زرع المستوطنات على كافة التراب الفلسطينى، وبعد أربعة حروب عامة بينهم وبين العرب ثم أربعة أخرى بينهم وبين الفلسطينيين واللبنانيين، تم لليهود إحتلال جميع أراضى فلسطين وأجزاء من اراضى سوريا والأردن ولبنان، وطردوا معظم الأهالى الفلسطينيين من ديارهم وشردوهم لاجئين فى جنبات الأرض، ولم يبق فى يد الفلسطينيين إلا ٢٢ ٪ من مجمل أراضى فلسطين، وهى الأرض التى يواجهون فيها الآن عمليات الإبادة والتطهير العرقى والحصار والتجويع، وسيطر هؤلاء المجرمون على القدس بما فيها من مقدسات إسلامية ومسيحية وضموها الى كيانهم الغاصب، وليت الأمر إقتصر على ذلك، بل إن الصهاينة يتنادون الآن بالتخطيط للإستيلاء على باقى الأراضى التى وعدهم بها الرب كما يزعمون وهى الأراضى الممتدة، من الفرات إلى النيل أن يتجمعوا فيها لإنشاء دولة إسرائيل الكبرى.

لذلك كان من الواجب أن يدق ناقوس الخطر حتى يفيق العرب من غفلتهم وإلا ضاعوا وأضاعوا بلادهم كما ضاعت فلسطين، وحينئذ سوف لا ينفع الندم، لهذا ندعو العرب جميعا إلى نبذ خلافاتهم التى بثها بينهم أعداؤهم ليلهوهم مما عما يحيق بهم من أخطار ويشتتوا جهودهم فيما بينهم ويبددوا ثرواتهم وليكن ما يحدث الآن فى فلسطين عبرة لهم، وواجبهم الآن أن يساندوا إخوتهم فى فلسطين بكل ما يملكون من قوة ومال.

المراجع العربية

١ – القرآن الكريم

٢ – الكتاب المقدس – العهد القديم

٣ – الفرعون الذى يطارده اليهود بين التوراة والقرآن

سعيد أبو العينين– كتاب اليوم– أخبار اليوم ١٩٩٧ .

٤ – القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم

موريس بوكاى – دار المعارف القاهرة– ١٩٧٩

٥ – الإسلام ورسوله بلغة العصر

أحمد حسين– المجلس الأعلى للشئون الإسلامية– ١٣٨٨ هـ .

٦ – المؤامرة على فلسطين قبل هرتزل بنصف قرن

د. محمد حسن الزيات– مجلة العربى– الكويت (عدد ٢٢)– ١٩٧٧ .

٧ – إسرائيل ويهود العالم– دراسات سياسية وقانونية

مصطفى عبدالعزيز– مركز الأبحاث– منظمة التحرير الفلسطينية– ١٩٦٩

٨ – إصدارات صحيفة الأهرام المصرية

مقالات للكتاب المصريين والعرب عن الإنتفاضة الفلسطينية– ٢٠٠١

٩ – تفسير الكتاب المقدس:– جماعة اللاهوتين برئاسة د. فرنسيس دافيدسن

دار منشورات النفير– بيروت ١٩٨٦

١٠ – دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم

بيومى مهران– دار التراث العربى– القاهرة– ١٩٧٩

١١ – قصص الأنبياء والتاريخ– الجزء الرابع

د. رشدى البدراوى– المكتبة الأكاديمية بالقاهرة ١٩٩٨

١٢ – قصة الحضارة ومباهج الفلسفة

ك. دورانت– دار الجبل– بيروت ١٩٥٥

١٣ – قصص الأنبياء

الشيخ عبدالوهاب النجار– مكتبة دار التراث– القاهرة ١٩٧٩

١٤– مصر القديمة

د. سليم حسن– جزء ٣، ٤– ١٩٩٩

١٥ – من الصحافة الإسرائيلية– مقالات لكبار الكتاب الإسرائيليين

يديعوت أحرينوت– هارآتس– جيروزاليم بوسن– ٢٠٠١

مراجع أجنبية

1 - The ancient near east. Vol I& II

Amelie Kurt. Routlejge- London $ New York, 1977.

2 - The Bile as a history

Waner Keller- Banton books, New York-London 2 nded. 1982

3 - The Jewish state- Acentury Later.

Alan Dowty, Calif. Univ. Press, 2000

4 - Our Parties and their leaders.

Nesrat K. Istanbul, 1975.

5 - Daunena Luk.

Abdel Rahman Kojak. Istanbul, 1979.

رقم الإيداع : ٢٠٠١/١٦٧٢٦
ISBN : 977-281-178-2